

تفسير ابن كثير

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ
إِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد :

(وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) أي : ما ثم إلا هذه الدار ، يموت قوم

ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد ، ويقوله

الفلاسفة الإلهيون منهم ، وهم ينكرون البداء والرجعة ، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية

المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان

عليه . وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى ، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ؛ ولهذا

قالوا (وما يهلكنا إلا الدهر) قال الله تعالى : (وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون)

أي : يتوهمون ويتخيلون . فأما الحديث الذي أخرجه صاحبنا الصحيح ، وأبو داود ،

والنسائي ، من رواية سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي

هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يقول الله

تعالى : يؤذيني ابن آدم ; يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر ، أقلب ليله ونهاره " وفي رواية : " لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر " . وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدا فقال : حدثنا أبو كريب ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " كان أهل الجاهلية يقولون : إنما يهلكنا الليل والنهار ، وهو الذي يهلكنا ، يميئتنا ويحيينا ، فقال الله في كتابه : (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) قال : " ويسبون الدهر ، فقال الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار " . وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أحمد بن منصور ، عن شريح بن النعمان ، عن ابن عيينة مثله : ثم روي عن يونس ، عن ابن وهب ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " قال الله تعالى : يسب ابن آدم الدهر ، وأنا الدهر ، بيدي الليل والنهار " . وأخرجه صاحبها الصحيح والنسائي ، من حديث يونس بن زيد ، به . وقال محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم

- قال : " يقول الله : استقرضت عدي فلم يعطني ، وسبني عدي ، يقول : وادهره .
وأنا الدهر " . قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله ، عليه الصلاة
والسلام : " لا تسبوا الدهر ؛ فإن الله هو الدهر " : كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم
شدة أو بلاء أو نكبة ، قالوا : يا خيبة الدهر . فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه ،
وإنما فاعلها هو الله [عز وجل] فكأنهم إنما سبوا الله عز وجل ؛ لأنه فاعل ذلك في
الحقيقة ، فهذا نهي عن سب الدهر بهذا الاعتبار ؛ لأن الله هو الدهر الذي يعنونه ،
ويسندون إليه تلك الأفعال . هذا أحسن ما قيل في تفسيره ، وهو المراد ، والله أعلم . وقد
غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدوم الدهر من الأسماء الحسنى ، أخذوا من
هذا الحديث ..